

الهوامش

- 1 - هذا البحث أنجز ضمن (مشروع البحث اللغوي وأحياء التراث) في معهد اللغة العربية وآدابها في جامعة قسنطينة.
- 2 - اسهام العراقيين المعاصرين في تحقيق التراث. حاتم صالح الضامن من ص1 وبحوث ودراسات في اللغة وتحقيق النصوص له أيضا ص7.
- 3 - مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين. رمضان عبد التوات ص7.
- 4 - المورد م 5، ع1، 1976 ص42.
- 5 - المورد م 5، ع3، 1976 ص208.
- 6 - تخص أعمال الملتقيات (1970 - 1980).
- 7 - المخطوطات داخل الخزانات الشعبية خلال نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 بتوات وقراره وتذكلت، محاضرة للاستاذ مقدم مبروك ص20.
- 8 - تاريخ الجزائر الثقافي 59/1
- 9 - ألفت في كتابه هذا العصر من محاضرة الأستاذ مقدم مبروك المشار إليها أعلاه.
- 10 - المورد، م5، ع1، 1976، ص42.
- 11 - عن حصة تلفزيونية قدمت يوم 1988/7/4 في التاسعة ليلا.
- 12 - عن حصة اذاعية قدمت يوم 1988/5/10 في التاسعة صباحا.
- 13 - ينظر مجلة الناشر العربي، ع2، 1984 ص84 ومجلة المورد، م3، ع4، 1974، ص299، م5، ع1، 1976، ص41
- 14 - نشيد بالمجهودات التي بذلها علماؤنا في نشر التراث، كالأستاذة: أبو القاسم سعد الله اسماعيل العربي، عمار الطالبي، المهدي البو عبد لي، رابح بونار، يحي بوعزيز، محمد بن عبد الكريم، وغيرهم ممن لا نستطيع ذكرهم هاهنا.

الأستاذ ادريس عزوري

**الكراسي العلمية بجامعة
القرويين أيام ازدهارها
واشعاعها الفكري**

كلية الشريعة - فاس -
المغرب

الكراسي العلمية بجامعة القرويين أيام ازدهارها وإشعاعها الفكري

مقدمة

برزت ظاهرة الكراسي العلمية زمن المرينيين نتيجة ازدهار الفكر والثقافة، والتعمق في مختلف المعارف والعلوم، وإمارة على الاستقرار واستتباب الأمن، والنهضة العلمية الجبارة التي شهدتها فاس ومثيلاتها من المدن المغربية الرئيسية. وقد برزت هذه الكراسي العلمية في البداية بجامع القرويين وفروعه، ونظام الكراسي العلمية على هذا الشكل لتدريس العلم يعتبر تقليدا نقله المغاربة عن الشرق عندما كانوا يرحلون للحج أو لطلب العلم، فيحضرُونَ ويشاهدون مجالس العلماء الذين يلقنون تلامذهم علوما في مختلف الفنون والمعرفة، وهم جلوس وسط طليقتهم على كرسي عليه البسط، كما نقل ذلك ابن بطوطة وهو يصف التدريس بالمدرسة المشتتية ببغداد، وتدرس فيها المذاهب الأربعة، لكل مذهب إيوان في المسجد، وموضع للتدريس وشيخ جالس على كرسي عليه البسط. نشأت هذه الكراسي العلمية بالقرويين نتيجة التقدم الفكري والعلمي، فكانت بسيطة فتية في بداية الأمر ثم ما فتئت تتطور بالتدريج حتى أصبحت تدرس أمهات المصنفات في مختلف الفنون والعلوم يقوم بها كبار الأساتذة والشيخوخ الذين لهم قدم راسخة في العلم يحضرها آلاف الطلبة الذين جاءوا من كل حدب وصوب، تحوهم الرغبة في تلقي العلم وأخذهم عن أساطين وفارسان المعرفة. وكان لهذه الكراسي أوقاف خاصة صادرة عن الملوك والأمراء والمحسنين والمحبين من الأفراد والأسر، تشمل وقف عقارات وأموال على العلماء والشيخوخ الذين يتصدون للتدريس، ويتعاقبون على هذه الكراسي باستمرار. وقد كانت ولاية الكراسي بالقرويين، ولاية رسمية، كولاية القضاء والفتيا، والوزارة، يقول تعيين هؤلاء العلماء السلطان أو من يقوم مقامه، ولا يسند هذا المنصب إلا لمن يتوفر على مؤهلات وخصائص علمية كبيرة. ويبدو أن هذه الكراسي كانت تختلف وهي أنواع وأصناف، فمنها ماهي عامة ومنها

ما هو مشاع، ومنها كراسي تتسبب لأفراد من كبار العلماء، مثل كرسي الونشريسي، وكرسي ابن غازي، وكرسي الواريكلي، وكرسي القيسي وغيرهم.

وليس معنى هذا أن هذا الكرسي الذي ينسب إلى صاحبه يظل معطلا، بعد فراغ صاحبه من إلقاء درسه عليه بل أن التناوب كان قائما وأن الطلاب الذين كانوا يعدون بالمات والآلاف كانوا لا يعرفون الراحة في كل ساعات النهار من درس إلى درس، ومن مجلس إلى مجلس، على ما يذكر الكلاكي وغيره من شهود العيان.

ومع هذا كله فإن بعض الكراسي يختص بها أصحابها الذين يتولونها صباح الخميس أو الجمعة أو بعد الظهر والعصر، أو بين العشاءين، أو في فصل الشتاء، ولكن هذه الكراسي المحبسة على أصحابها لها وضع خاص، فأحباسها وأوقافها تختص بها دون غيرها وتدرس فنونا معينة ويقصدها ذوا التخصص من الأطر العليا.

وبالإضافة إلى هذه الكراسي كانت هناك كراسي مخصصة للتوعية والتوجيه أو ما يسمى بالوعظ والإرشاد كان صناع مدينة فاس وتجارها وكسبتها وفلاحوها يجدون في هذه الكراسي أندية لهم يحضرونها بعد صلاة الصبح قبل استقبال عملهم اليومي وبعد صلاة المغرب عند الفراغ في أعمالهم فهم يتتقون ويتعلمون على الدوام حتى أنك إذا اجتمعت بأحد من هؤلاء تجد نفسك كأنك أمام عالم نظرا لما يتوفر عليه من معلومات تتعلق بأمور دينه وديناه.

وضع الكراسي وترتيبها في جامع القرويين:

لقد كانت لهذه الكراسي مواضع خاصة وقارة حيث تتخذ أمكنتها بعيدة عن وسط القرويين.

فقد ذكر ابن الوزان المعروف "بليون الإفريقي" أن هذه الكراسي تمتد على طول جدار المسجد بل حتى في صدره، وبعض المصادر الأخرى تذكر أن الكراسي كانت تتخذ أمكنتها بعيدة عن وسط القرويين، على طول الجدار الغربي والشرقي ليكتمل عددها على الأروقة المرتفعة التي تحاذي الجدار الشمالي، ثم توزع الكراسي الباقية على طول البلاط الأوسط من المحراب إلى العنزة، وتأخذ كذلك حظا ذات اليمين وذات الشمال.

قال الدكتور عبد الهادي التازي في كتابه جامع القرويين: وقد أزرنا القرويين على

هذا الوضع، وكما تنتقل على مختلف الكراسي المرتبة على امتداد جدران الجامعة غربا وشمالا وجنوبا وشرقا، وكان الفارق بين أماكن منها هنا أو هناك، أن كراسي الناحية الجنوبية تختص بالدراسات العليا، وكراسي الجدار الشرقي والشمالي للدروس الثانوية، وكراسي الجدار الغربي للدروس الأولية، هذا كله على سبيل التقريب.

مجموع الكراسي بمدينة فاس 140 كرسيًا:

إن الكراسي العلمية بمدينة فاس على عهد المرينيين منها ما كان خاصًا بالجامعة الأم، ومنها ما كان موزعًا على بعض فروعها، وهذه الفروع يقدر عددها بثلاثمائة وثلاثة وثلاثين، بالإضافة إلى كراسي الوعظ والإرشاد التي يحضرها الفلاحون والصناع والتجار والعمال في الصباح قبل الذهاب إلى أعمالهم وفي المساء عند رجوعهم ويذكر بعض المؤرخين أن أصحاب الحرف قد أصبحوا بواسطة هذه الكراسي ومواظبتهم على الاستماع إليها متقنين يعرفون دقائق المسائل في الفقه والتفسير والحديث وكانت هذه أوقاف خاصة بالكراسي الأخرى المخصصة للطلاب الذين كانوا يتهاون للفتاوى.

ذكر بعض الكراسي العلمية بالجامع الأم "جامعة القرويين"

أولاً: هناك كرسي المحراب الذي كان يدرس فيه ابن أبي عبيدة الأنصاري ت (582هـ) ويرجع هذا الكرسي، إلى سنة إحدى وخمسين وستمائة 651 وكان هناك إقبال شديد على هذا الكرسي، حيث غير هذا الشيخ ما اعتاده من سبقه في أول الدولة المرينية حيث كان يلجأ الشيخ إلى ركن خاص من الجامع في جماعة من تلاميذه ليعطي درسه. فزأى هذا الأستاذ أن يغير مكان الدرس إلى المحراب حتى يستثنى اشتغال عدد أوفر من الذين اعتادوا حضور القرويين بعد الفجر منتظرين طلوع الشمس.

وذكر بعض المؤرخين هذه الفترة أن الشيوخ الذين كانوا قبل هذا الأستاذ ابن أبي عبيدة الأنصاري كانوا يقتصرون في تدريسهم على تفسير القرآن للتعليلي (427) وحفظة الأولياء لأبي نعيم (430) وحيث كان الإقبال على كرسيه متزايداً فكر المشرفون عليه في أن يضيفوا إلى التفسير والحلية كتاب أحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي. ولما تولى السلطان أبو عنان الحكم في البلاد أمر بزيادة كتاب الشفا للقاضي عياض.

لقد تولى على هذا الكرسي عدد من العلماء الأعلام أمثال أبي زيد عبد الرحمن

العطاز، وسيدى العربي، قصار، ثم أبى محمد عبد الله بن خلف الفاسي، ثم الإشراف العراقيين أبناء المحدث، الحافظ، البدر، انريس ابن محمد بن ادريس العراقي الحسيني، وقد ظل الكرسي المذكور بيد عقب الشيخ العراقي أكثر من مائة سنة.

وقد خصص الناس الخزائن والأوقاف لهذا الكرسي المقدس وتبارى الناس على طول الزمن في الاقتداء بأولئك، فخصصوا بدورهم جرايات وأوقاف للكراسي بالقرويين.

ثانياً: كرسي باب الرواح الأدنى وكان بين هذا الكرسي وكرسي باب المحراب كرسي ثالث عن يمين الداخل إلى جامع الجنائز، من باب الرواح الأدنى وسطاً بين هذا الباب وباب الرواح الأوسط وقد تصدر للتدريس على هذا الكرسي عدد من رجال العلم والفضل أمثال سيدي عبد السلام المرزي وسيدى أحمد بن جعفر الكتاني.

ولقد دلت لوائح الوقف على أن المتصدر للتوريث عليه كان يتمتع بغلة ثلث جنان النخلة من باب الحديد، وهي بقعة كانت مرغوبة معروفة لدى الناس.

ثالثاً: كرسي باب الشماعين يوجد عن يمين المدخل الرئيسي للجامع ودائماً على البلاطة المرتفعة قليلاً عن أرض الجامع، ومما كان يدرس عليه من الفنون وسأله الشيخ ابن أبي زيد القيرواني ت 386 هـ.

وقد انتقلت بعض حصص هذا الكرسي بعد أن استمر مدة من الزمن غيب مسيرة إلى الكرسي المهم الذي هو في ظهر صومعة القرويين، وقد كان من أوقافه بعض الحمامات التابعة لممتلكات القرويين.

رابعاً: كرسي ظهر الصومعة ويعد هذا الكرسي من أهم الكراسي التي تعاقبت عليها جلة من العلماء بالقرويين.

ومن أقدم أساتذته الجامعيين اللاحقين ابن أبي جامع الأنصاري الجباني ثم أبو العباس أحمد بن علي الزموري الفاسي (وهو شيخ للكلالي)، ثم كان تلميذه أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن عمران السيلاسي.

خامساً: كرسي باب الصالحين في الحقيقة هما كرسيان كرسي الأيمن وكرسي الأيسر، فالأيمن يوجد على يمين باب الصالحين والآخر على يساره، فالأول وهو الأيمن وقف في الأصل على قراءة شهاب الأخبار للقضاعي والعمدة للعيني كل يوم خميس وجمعة.

وأما كرسي الأيسر فكان مخصصاً لدراسة صحيح الإمام مسلم ورسالة ابن أبي رويد
القيرواني (386 هـ) بين العشائين ليلاً، والترغيب والترهيب للمنذري، (656 هـ) بعد الظهر،
والعمدة للعيني (855 هـ) كل صباح وكان من بين أساتذة هذا الكرسي الشيخ الذكالي المشناني
الذي كان يدرس الرسالة والإمام المنجور الذي كان يدرس صحيح مسلم.

سادساً: كرسي مستودع باب الحفافة كان هذا الكرسي يقع يمين الداخل من باب
الحفافة وكان من رجال هذا الكرسي الشيخ سيدي يحيى السراج المعروف بتعليقاته وتحقيقاته
وكان هذا الكرسي مقصد الخاصة والعامة معاً، وقد خلف العلامة السراج الإمام المنجور،
وهذا الكرسي الواقع في الركن الجنوبي الغربي للجامع حصل من أجله تراخ بين الشيخين
سيدي يحيى السراج والقاضي الحميدي من جهة وبين أبي القاسم ابن أبي النعيم وأبي القاسم
بن سودة من جهة أخرى على التناوب عليه، هذا الكرسي يعتبر المرحلة الأولى للترقي إلى
كراسي أخرى، ولذلك كان أقل أوقافاً من كراسي أخرى.

وكان الشيخ المنجوري يدرس عليه علم التفسير وشرحاً للقصيدة الشيخ أحمد ابن
زكريا (ت 899 هـ) في التوحيد بعد صلاة صبح كل خميس وجمعة.

أما الشيخ السراج فبالإضافة إلى منظومة ابن زكريا كان يدرس فيه الرسالة أيام الشتاء
وصغرى السنوسي.

وقد تعاقب على هذا الكرسي الشيخ محمد بن قاسم القصار قبل أن يصير إلى أبي
القاسم ابن أبي النعيم (1032 هـ) وأصحابه وبالتالي إلى الفقيه عبد الرحمن الحريشي وأبي
الحسن علي الحريشي وعبد الرحمن الشديد. وكان من أوقاف هذا الكرسي متجران و 3 بقاع
وعقاران (وارج بوادي العظام).

سابعاً: كرسي النحو يوجد هذا الكرسي على يمين الداخل من باب الصفر الأعلى في
بداية البلاط العمودي الذي يرتفع قليلاً عن بقية أرض الجامع وقد ذكرت بعض الحوالات
الحديثة أن هذا الكرسي يوجد بباب الكتبيين الجديد أو باب السيطريين وهو غير "كرسي
الورياكلي، الذي لا يبعد عنه إلا بضعة خطوات.

وكان من أساتذة هذا الكرسي الأستاذ سيدي محمد بن إدريس بن حمدون العراقي
(1142 هـ) الذي كان يطلق عليه "سبويه زمانه" وكذلك من بين أساتذته الفقيه أبو الحسن

علي المدعو سيدي زيان (1194هـ) والفقيه سيدي عبد الرحمن بن عمران.
أما الأماكن والعقارات الموقوفة على هذا الكرسي فقد ذكرت لائحة العقارات
والأماكن التي خصصت للعلماء الذين يتصدرون للتدريس على هذا الكرسي ستة أماكن
معروفة بأعيانها. كما هو مذكور في حوالات الدولة العلوية.

ثامناً: كرسي ظهر الخصة كان هذا الكرسي حسب ما ذكرته حوالة ترجع إلى عهد
مولاي اسماعيل السلطان العلوي يوجد عن يمين الطالع للمسجد من باب العمدة أول باب في
الجهة الشرقية الجنوبية.

ومن خصائص هذا الكرسي أنه كان يستمع إليه نساء من فضليات المدينة وفقهاتها
اللاتي كن يشرفن عليه من الرواق الخاضع بهن في مستودع ابن عباد وقد وقفت على هذا
الكرسي عقارات وبقاع مهمة فقد ذكرت حجج الوقف على عهد السلطان المولاي اسماعيل
اثنتي وعشرين بقعة إلى جانب ثلاثة ربايع في ظهر غالب، ومتجر يسوق القبيب الناقص،
وجانوت على قنائة ابن الجوزي ونصف جانوت خيس على بتريس "الترغيب" وغيرها
كثير.

أما العلماء الذين تصدوا للتدريس على هذا الكرسي فقد ذكر التازي: أن من أساتذته
القدامى ابن نموي الفاسي (614هـ) ثم الرحالة ابن رشيد، والشيخ الحاج القاضي ابن الحاج
البافقي 771هـ وأيام السعديين الشيخ محمد الشريف المري التلمساني (1018هـ) ثم صار إلى
الشيخ أبي الفضل العربي بن الحاج (1109هـ) ثم محمد فتاح بن الحاج (1128هـ) ثم أحمد
الحفيد (1132هـ) ثم عبد الله محمد فتاح بن الخياط الديكالي المعروف بـابن إبراهيم
(1184هـ).

وقد أحيى هذا الكرسي السلطان المولاي سليمان باسنايه سيدي حمدون ابن الحاج
(1232هـ) ثم صار إلى ولده أبي عبد الله محمد (1274هـ)
ومن الكراسي التي تنسب لأفراد من كبار العلماء
كرسي الونشريسي (ت 955 هـ)

وهو الشهيد عبد الواحد الونشريسي لأن آخر درس له كان على هذا الكرسي ومن
فوق هذا الكرسي قبض عليه وأخرج من الباب الغربي حيث نقد فيه قدر الله سنة (955هـ)

بعد أن رفض أن يخلع عنه بيعة أبي العباس الوطاسي الطالحي الشيعي، وقد أنشأ هذا الكرسي أبو العباس أحمد بن الشيخ الوطاسي. وأما شيخنا أبو العباس أحمد بن الشيخ الوطاسي، وخصصه في بداية الأمر لدراسة الجامع الصحيح البخاري، بشرحه بفتح البواقي، وكان يوجد قرب باب ابن جنون، وعلى هذا الكرسي كتابات تدرس في نسخة لصحيح البخاري بخط الحافظ محمد بن عبد الله التنسي ومنقولة من خط الشارح الإمام ابن حجر نفسه، وقد حبست على هذا الكرسي عقارات وأمالك مهمة حتى كان من أثرى الكراسي العلمية وأغناها بالقرويين. فقد وجدت في أحباسه اثنا عشر جانباً بالقيصرية، والعطاردين، وتسعة بالمسبطين وستة بغين علون وأربعة بالسقاطين وسبعة بالصفائح واحد عشر حقايا إلى ثمان وثلاثين بقعة موزعة في أهم جهات المدينة، ثم إن هذا الكرسي كان يدرس عليه وقد صار هذا الكرسي بعد الوثنيسي التي القاضي الحميدي وكان يدرس عليه علوم القرآن والتفسير، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر ابن الحاجب، والحكم لابن عطاء الله وكذلك كان يدرس عليه تفسير ابن عرفة (803هـ) وقد شهد هذا الكرسي مساجلات ومناظرات حيث كان يقصده خواص الظلية والفقهاء حتى اعتادوا الدروس المطرزة بالكتب والغرائب والبحوث، ثم إن هذا الكرسي كان يدرس عليه وفي هذه الفترة توفي الشيخ المنصور راحة الله عليه، وورثه أربعين الأربعة من الشيوخ والتراضي بينهم والتسوية بين أجورهم وهؤلاء هم ابن أبي الصغيم وابن سودة والحميدي والبرنج، وتراضوا بينهم في تقسيم الكراسي. وهذا الكرسي غير كرسي الوثنيسي الذي كان يدرس عليه الفاسي المتوفي سنة 705هـ وكان هذا الكرسي يدرس عليه الفروع خاصة المدونة.

كرسي ابن غازي (ت 919 هـ)

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن غازي العثماني المتقاري المكفافي ت 919 هـ وكان يدرس عليه العمدة في الحديث وقد تعاقب على عهد الكرسي بعد ابن غازي محمد بن عبد الواحد الغزال تلميذه وبعده أحمد بن محمد المعروف بابي جبهة المديوني الوهراني المتوفي سنة (951هـ).

كرسي الامام الوارث كافي ت 880 هـ

هذا الكرسي يعد بحسب الروايات التاريخية من أهم الكراسي التي توالى عليها كبار الشخصيات، وكان هدفا لكثير من المنافعات، وقد زاحم كرسى المحراب، واشتهر هذا الكرسي بالعلوم والفنون الكثيرة التي تدرس عليه كان الامام عبد العزيز الوريثي الملقب بالصاعقة ت 880 هـ من أوائل من ارتبط بتاريخهم بهذا الكرسي، ثم صار إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن غازي العثماني المختار المكناسي ت 919 هـ وبعد وفاته انتقل إلى العلامة تلميذه أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد الغزال. ثم انتقل بعده إلى العلامة أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن جيدة المديوني الوهراني ت 951 هـ نزىل فاس ثم تولى القراءة عليه العلامة المشهور الشيخ المنجور ت 995 هـ، وقد تحدث كتاب "الروضة المقصودة" عن هذا الكرسي بقوله من جملة ما كان يفذه السلطان أبو العباس أحمد المنصور السعدي لجد بني عمه من بني سودة أهل درب القاضي من عدوة فاس القرويين ومن بين هؤلاء الشيخ أبي القاسم بن سودة 1004 هـ واستمر بيد أعقابهم يتوارثونه إلى أول المائة الثانية عشرة عهد المولاي اسماعيل، فصار إلى الشيخ العلامة الوارد على فاس أبي عبد الله محمد أحمد الكماد القسنطيني الشريف 1116 هـ ثم إلى بعض بني القسنطيني أبي العباس أحمد وكان لا يقل ملكة عن الشيخ والده.

وربما عاد أخيرا إلى أبناء بن سودة وقد عاد المصدر السابق الحديث عن هذا الكرسي فنكران من تولى التدريس عليه مؤخرا القاضي أبو عيسى محمد المهدي بن سودة المري 1294 هـ ويظهر أن هذا الكرسي لم يكن مخصصا لفن معين بل كانت تدرس عليه سائر الفنون.

الفنون التي كانت تدرس على هذا الكرسي

من الفنون التي كانت تدرس على هذا الكرسي كتب التفسير صباحا وصحيح البخاري ومسلم بين العشائين ورسالة ابن أبي زيد القيرواني والكلاعي ومختصر ابن الحاجب بعد الظاهر والمنذري بعد العصر، والعمدة للعيني، وأم البراهين للسنوسي، وغيرها من الكتب التي كانت تدرس بجامعة القرويين.

العلماء الذين تعاقبوا على هذا الكرسي
العلماء الذين تعاقبوا على هذا الكرسي بصفة عامة سواء الذين ذكرناهم أو الذين لم
نذكرهم: الوريكلي (880هـ) وابن غازي (919هـ) وابن جيدة (951هـ) والدكالي المشتائي
(962هـ) والمنجور (995هـ) والحفيدي (1005هـ) وأبو القاسم بن سودة (1004هـ) وابن
القاضي (1006هـ) ويحيى السراج (1007هـ) والقضار (1012هـ) وابن أبي النعيم
(1032هـ) والشيخ التاودي بن سودة (1209هـ) وولده أبو العباس (1235هـ) ثم المهدي بن
سودة (1294هـ).

أما الأوقاف التي وقفت على هذا الكرسي
فهناك حوالي اثني عشر عقاراً للذين يدرسون في الصباح وسبع عقارات للذين
يدرسون عند الظهر، وزهاد ست بقاع لمن يتولى التدريس به في العصر والمساءة.
كرسي أبي الحسن الصغير 719هـ هو أبو الحسن طلي بن محمد الزرويلي الفاسي المتوفي سنة 719هـ كان يدرس فيه
تهذيب البراذعي في اختصار المدونة وغيرها من الفنون يطول ذكرها. ومن جملة الكراسي التي كانت تضمها جامعة القرويين بالإضافة إلى ما تقدم.

كرسي الركن الشمالي الشرقي
هذا الكرسي يوجد على مقربة من الباب ذي الخوخة ومن الأساتذة الذين تخصصوا
للتدريس على هذا الكرسي في عهد السلطان المولاي اسماعيل الإلم الخطيب سيدي علي البو
عفاني (1135هـ) ومن الكتب التي كانت تدرس عليه رسالة الشيخ ابن أبي زيد القيرواني
وغيرها من الفنون التي لم تذكرها كتب التاريخ وكذلك من بين هذه الكراسي التي لم أتحدث
عنها على سبيل المثال فقط لا على سبيل الحصر وإلا فيحتاج ذلك إلى مجلدات.

كرسي الثريا الكبرى
وهذا الكرسي لم يكن من الكراسي المحيطة بجدار الجامع بل كان في البلاط
الأوسط وكان يقع على مقربة من الثريا الكبرى بوسط القرويين كما تشير إلى ذلك الوثائق
والحوالات التي احتفظ بها التاريخ، وهذا الكرسي بمثابة كنز يتجمع حوله مئات من
الطلاب والمستمعين. وكان يدرس على هذا الكرسي صحيح البخاري وفوائد الأصول في

أحاديث الرسول للترمذي، والرسالة للقسيري (ت 465هـ) والعمدة للمقدسي (ت 600هـ).
ومن الأساتذة الذين تولوا على هذا الكرسي سيدي محمد الندرومي، والفقيه سيدي
حدو حنيش. وقد ذكرت الحوالة الاسماعيلية والسليمانية العقارات الموقوفة على هذا الكرسي
وهي تبلغ اثني عشر مكانا عرفت بأعيانها (ت 772هـ) والرسالة (ت 962هـ) والعمدة
كرسي العنزة (ت 962هـ) كان يختص بتدريس الفقه كالرسالة ومختصر الشيخ خليل بعد وصول نسخة الى
مدينة فاس منه.

ومن العلماء الذين تصدوا للتدريس على هذا الكرسي الشيخ منديل ابن أجروم
(772هـ) الذي كان يدرس المقامات بين العشامين زمن الصيف وسيدي عبد الرحمن الدكالي
(962هـ) وسيدي محمد ميارة ثم الى قاضي فاس ثم الى الشيخ العباس التازي.
وقد عرفت من أوقافه نصيبين من متجرين في المدينة بالإضافة الى عدد من أنصبه
في الدور والفنادق والحمامات. ومما ينبغي ملاحظته أن بين كرسي العنزة وخصه العين ثلاثه كراسي أحدها
كرسي البلاط الأول وهو مذكور في الحوالة السليمانية مخصص لقراءة الكلاعي قبل صلاة
العصر وبعدها. ثانيها كرسي البلاط الثاني الذي يلي الأول الذي كان يدرس عليه كتاب الحلية
لأبي نعيم، ثالثها كرسي البلاط الثالث الذي يلي البلاطين السابقين وهو قديم ذكر في الحوالة
الاسماعيلية. وبالجملة فإن الدكتور التازي ذكر ثمانية عشر كرسيًا من هذا النوع في كتابه جامع
القرويين.

المجالس العلمية بجامع القرويين غير الكراسي

وكانت بجامع القرويين مجالس علمية أخرى لم ترق الى درجة الكراسي مرتبة على
السواري يقصدها عدد ضخم من الطلبة يتحلقون حول أساتذتهم لأخذ عنهم. ولقد حفظت لنا
بهذه المجالس كتب التاريخ والحوالات الحبسية ووضفتها وصفا دقيقا.
ومن بين هذه المجالس الأرضية مجلس بظهر خصبة العين كان الشيخ الذي يتولى

التدريس فيه هو سيدي محمد الشريف التلمساني يدرس صغرى الشيخ السنوسي وكبراه.
ومن كان يدرّس هذه المجالس الأرضية سيدي يحيى السراج يلقي درسه كل صباح
وهو مستند إلى حائط القبلة بين الخزانة الفسغنية وباب المضروبة وقد كان السارد في هذا
المجلس الفقيه سيدي عبد الرحمن بن عثمان المكناسي.
ومن العلماء الذين كانوا يقولون التدريس في هذا المجلس الفقيه سيدي محمد بن
سيدي محمد الشامي المدعو بالقويض والإمام أبو القاسم بن القاضي، وكان إمام زمانه في
النجوة والشيخ أبو القاسم ابن أبي النعيم وأبو القاسم بن سودة، والفقيه محمد الحسناوي،
وسيدي يوسف الشريف الزروالي، وسيدي محمد الوهراني.

ومن تلك المجالس الأرضية مجلس على يسار الداخل إلى القرويين من باب الكتبيين
ومن شيوخه أبو عبد الله محمد بن حمدون الشديدي الأندلسي (1140هـ) وولده أبو القاسم
أحمد وحفيده سيدي حمدون وسيدي عبد الكريم اليازغي (1199هـ) من تلك المجالس
ومن بين تلك المجالس الأرضية مجلس لتدريس كتاب الإمام ابن الحاجب (646هـ)

المعروف بالفراعي الفقيه، هذا المجلس كان يضم عشرات من الأعلام أمثال الفقيه سيدي محمد الشريفي
التلمساني والفقيه سيدي عبد العزيز بن القاضي والشيخ عبد العزيز الفيالي وسيدي محمد
يكر وأبي القاسم ابن أبي النعيم وأبي القاسم بن سودة والقاضي الشاطبي والمفتي سيدي عبد
الواحد الشريف وغيرهم كثير ولقد كان السارد في هذا المجلس سيدي إبراهيم المنصوري في
عدول سماط القرويين.

ومن تلك المجالس الأرضية مجلس عن يمين الداخل إلى القرويين من باب
الشماعين في الموضع المنسقل هناك وقد كان هذا المجلس أيام السعديين بيد الشيخ أبي زيد
عبد الرحمن بن أحمد بن عثمان المكناسي وكان يدرس مختصر الشيخ خليل على الأرض
أمام جماعة من الطلاب تحيط به عند الظهر، ذكر المؤرخون أن هناك عشرات أخرى
سيكشف عنها التاريخ أما هذه المجالس الأرضية فقد حصرها بعضهم مع الكراسي في واحد
وثلاثين مجلساً وقد يضطر إلى الكرسي عندما يصل عدد الطلبة المائتين والثلاثمائة.

الكراسي العلمية في فروع جامع القرويين
وهناك بالإضافة إلى كراسي الأم "القرويين" كراسي في مساجد ومعاهد أخرى تابعة للقرويين، وقد أسست وأنشئت من أجل التخفيف عن الجامع الأم ومن أجل تقريبها بسكان المدينة في مختلف الدروب والأزقة والطرق، لأن كثيرا منها كان خاصا بالوعظ والإرشاد يحضره الصنائع والعمال والتجار في أول النهار وفي آخره قبل توجههم إلى العمل وبعد رجوعهم، بخلاف الكراسي العلمية الكائنة بجامع القرويين أو غيرها في قرونها فيبدو أن الحاضرين هم من الطلبة الوافدين عليها من مختلف أنحاء المعمورة بالإضافة إلى المغاربة ويقل العوام فيها.

وحيث يصعب جدا استقصاء الحديث عن هذه المساجد والمعاهد والمدارس التابعة لجامعة القرويين نظرا لكثرتها حتى قدرها بعض المؤرخين بثلاثمائة وثلاثين مسجدا ومعهدا، ساقصر على ذكر ذلك بعضها فيما يلي:

كرسي المدرسة المصباحية

ويعرف في القديم بكرسي مدرسة الخصة، كان مخصصا للفقه والنحو، وقد تصدى للتدريس على هذا الكرسي عدد لا يستهان به من العلماء منهم الأستاذ الذي سقى المدرسة باسمه أبو الضياء مصباح بن عبد الله البناصوتي ق 750 هـ والإمام المراكشي (864 هـ) والإمام أحمد الوترسي صاحب المعيار وولده عبد الواحد، ثم صار الكرسي إلى قاضي الجماعة عبد الواحد الحميدي وكان يدرس التهذيب في اختصار المفوتة لابن البراذع (ت 400 هـ).

ومن الملازمين للمجلس أبو علي الحسن الزياتي وسيدني يوسف القطرسي وسيدني علي بن جلون، وسيدني أحمد الفركلي، وسيدني أحمد الشريف الشفشاوني، وسيدني يوسف الزروالي، وغيرهم وكان السارد للمدونة والمختصر أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد بن عثمان المكناسي.

وكان يدرس على هذا الكرسي الفقه والنحو كما تقدم. وكان التدريس عليه يتناول كتب النحو العالية التي لا يعرفها إلا أذواق الطلبة ككتاب سيبويه والسيرافي وابن مالك وابن جروم وابن هشام والمكودي.

كرسي مدرسة الحنفاوين وتسمى بمدرسة الجفارين للفقهاء والنحو
وهذا الكرسي من أقدم الكراسي العلمية بمدينة فاس، وهي المدرسة القدوة لسائر
ملوك بني مرين كانت لها خزانة علمية عظيمة حوت من العلوم والفنون ما ليس في غيرها.
وكان من جملة الأساتذة الأعلام الذين تولوا التدريس بهذا الكرسي السيد يحيى
السراج الذي كان يدرس كتاب المدونة، وكذلك القاضي مفضل العمري والشيخ أبو عبد الله
المدنيوني (886هـ).

والواقع أن حظ هذا الكرسي من التاريخ ضعيفاً بحيث نجده كثيراً من العلماء الذين
تصدروا للتدريس عليه فلم يحفظ لنا التاريخ سوى ما تقدم من العلماء.

كرسي مدرسة العطارين للفقهاء والنحو ومواد أخرى
كانت هذه المدرسة محل تنافس بين العلماء والطلبة فالأساتذة للتدريس بها والطلبة
لسكانها نظراً لوجودها بجانب جامعة القرويين.

واشتهر من الفقهاء الذين كانوا يترددون على هذا الكرسي منذ أيام الدولة المرينية
الأستاذ محمد بن أحمد الفشتالي (777هـ) الذي كان يدرس المدونة، وكان من تلامذته في هذه
الفترة ابن الأحمر، واشتهر على عهد الوطاسين ابن هارون (910هـ) الذي كان يدرس أيضاً
المدونة، واشتهر على عهد السعديين الشيخ سيدي يحيى السراج، وكان يدرس على هذا
الكرسي كل صباح بعد فراغه من مجلس المختصر بالجامع الأم " القرويين " ومن أساتذة
هذا الكرسي أبو العباس سيدي أحمد لخضر بن أحمد. واشتهر كذلك للتدريس على هذا
الكرسي الرياضي المشهور ابن البناء (ت 723هـ). واشتهرت مدرسة العطارين بكرسي النحو أكثر من غيره نظراً لما تعاقب عليه من
أعيان النحاة من أمثال الشيخ أبي زيد عبد الرحمن المكودي (801هـ) وكان يدرس كتاب
سبويه وكتاب الشيخ الإمام بدر الدين المرادي (749هـ) مؤلفات الأزهرى (905هـ)
المعروف بالوقاد ثم الزموري 1001هـ وبعده وفاة الزموري تولاها الشيخ الفقيه المعقولي
الأصولي أبو عبد الله القيسي القصار (1002هـ).

كرسي مسجد الأندلس (اشنيخن)
فالواقع أن مسجد الأندلس عرف عدة كراسي ومجالس علمية التي تناولت مختلف

العلوم والفنون وعرف عدداً ضخماً من العلماء والأعلام، وهذا مما جعله ثاني مركز للتدريس بعد القرويين، ولذلك ظل محل تنافس بين أعيان العلماء الذين كانوا يدخلون إليه من جامعة القرويين قصد الفوز بدرس فيه، وهذا الكرسي الواقع بباب "الشيخ" كان في صحن الكراسي الصباحية التي تدرس التفسير ويتنافس عليه العلماء وتذكر في صدر هؤلاء الأستاذ الفقيه الشيخ سيدي أحمد بن علي الزموري الذي كان يحضر مجالسه التفسيرية مشايخ من أمثال سيدي عبد الواحد الحميدي وسيدي يحيى السراج. كرسي مسجد الأندلس (باب المحراب)

كان يدرس على هذا الكرسي الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن اللايريني وسيدي أحمد المزوار بعد وفاة الشيخ أبي الفضل يوسف بن محمد بن يوسف بن النجوي (513هـ). وهذا المجلس يعتبر من أقدم المجالس العلمية بجامعة الأندلس.

كرسي مسجد الأندلس (بالمستودع)

وهذا الكرسي كان يدرس عليه أبو العباس أحمد المزوار هذا الكرسي كانت تستفيد منه ويتصنت إليه بعض الفضليات من نساء البلد حيث يوجد تحت مستودع النساء بحيث يمكنهن الإتصاف إليه.

كرسي مسجد الأندلس (باب مصرية الخطيب)

هذا الكرسي ذكره الشيخ المتجوري في الفهرست وأوضح أن عدداً من الشيوخ الأعلام تصدروا للتدريس على هذا الكرسي ولقد علمنا أن من العلماء الذين تولوا التدريس على هذا الكرسي الشيخ القصار، وفي الأزمنة الأخيرة صار إلى سيدي الكبير الطالب ابن سودة.

كرسي مسجد الأندلس (العنزة)

وهذا الكرسي كان يستند إلى ظهر العنزة وربما كان من نصيب أبي الربيع سليمان الونشريسي ت (705هـ) كان يدرس عليه المدونة.

مجلس بمسجد الأندلس

وكما توجد مجالس أرضية بجامعة القرويين لدراسة العلم وزيادة على الكراسي المرتفعة، نجد أيضاً بجامعة الأندلس عدداً من هذه المجالس الأرضية، ومن احتفظ التاريخ باسمهم وكان

يدرس في هذه المجالس الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد بن حمامة الأوربي
النجي الفاسي الشهير بالصغير ت 887هـ.

كرسي المدرسة المتوكلية

روى أنه لما فرغ السلطان أبو عنان المريني من بناء مدرسة المتوكلية بفاس، قال
لنظروا من يقرأ بها الفقه فوق الاختيار على الشيخ الصرصري الحافظ، وقد تعاقب على
هذا الكرسي كبار العلماء من سائر المغرب الكبير كما أن من أساتذة هذا الكرسي الفقيه أبا
العباس أحمد الحباك، والفقيه أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن البكري الدلائي.

هذا ويصعب جدا أن نتعرض بالتفصيل لكل الكراسي التي أسست بفروع جامع
القرويين في جميع العهود التي ازدهرت فيها هذه ولقد ذكر الدكتور عبد الهادي التازي عددا
لا يحصى في كتابه "جامع القرويين" ج1 ص390 أوصلها إلى 111 كرسيًا فبالإضافة إلى
ما تقدم ذكر عدة مساجد وكراسي منها: كرسي باب عجيسة (للحديث والفقه) وكرسي زاوية
سيدي أحمد التيجاني، وكرسي مسجد سيدي جبل، وكرسي مسجد جزاء بن عامر وكرسي
مدرسة الوادي، وكرسي مدرسة فاس الجديد، وكرسي مسجد الأبادين، وكرسي مسجد
بوجلود، وكرسي مسجد دار الدينغ، وكرسي مسجد درب الطويل، وكرسي مسجد الديوان،
وكرسي مسجد الرصيف.

وهكذا عد أزيد من 111 فإذا أضفنا هذا العدد من الكراسي إلى ما عرفناه في
الجامع الأم بلغنا إلى أزيد من أربعين ومائة كرسي كلها كانت تؤدي رسالتها في التنقيف
والتعليم في خبايا الأزقة وخلايا الدروب بين الشيوخ والكهول والشباب من التجار والعمال
والصناع والسيدات في بعض الأحيان هذا ما جعل سكان مدينة فاس وهم يتحدثون ويتناقشون
بتعاملون ويتبايعون اعتادوا أن يستشهدوا في كلامهم العادي بآيات من القرآن الكريم
وأحاديث من السنة النبوية أو فقرات من متون الفقه والنحو ذلك بكثرة الممارسة والمذاكرة
في العلم وهذا ما يفسر لنا القولة المشهورة الصادقة الماثورة "... انك لو حاولت أن ترجع
كل اعراف فاس وعاداتها إلى أصل من الشرع لما أعوزك ذلك".

الدكتور محمد خرماش

**نظام التعليم بالقرويين بين
القديم والحديث (قراءة في
الاصلاحات التربوية)**

**كلية الآداب-قسم اللغة العربية-جامعة
سيدي محمد بن عبدالله - فاس
المغرب**